# العلاقات السياسية لربيعة بن مكدم قبل الاسلام

الباحث مريم مهدي عبدالامير
Mariam.mahdi.abd.@gimal.com
أ.م.د بشرى جعفر أحمد
boshrai74@gmail.com
الجامعة المستنصرية – كلية التربية

**الملخص**

تباينت العلاقات الخارجية للقبائل العربية مابين السلب والايجاب فرضتها ظروفاً معينة تبنت فيها القبائل مواقف تخدم مصالحها من جهة ومن جهة اخرى تدافع فيها عن حلفائها فالاخبار اشارت الى ان القبائل العربية كانت بينها نزاعات وخصوُمات أسماها الأخباريون العرب بأيام العرب كانت لها أثاراً سلبية على القبائل العربية، كانت لهذه الايام اثاراً سلبية على القبائل العربية ،حيث أدت الى خسائرٌ لجميع الأطراف ،وأما الظاهرة الإيجابية لعلاقات القبائل تمثلت بتشكيل تحالفات سياسية ، تقوم على المصالح المشتركة وفق ما تقتضيه الظروف فقد كان البعض قائم على أسس جغرافية أي علاقة جوار ومنازل مشتركة ونادراً ما نجد هذه التحالفات مع القبائل المتباعدة في منازل سكنها، إلا في أيلاف قريش، الذي عقده هاشم بن عبد مناف مع الملوك والأمراء وزعماء القبائل لحماية قوافل قريش التجارية الماره عبر أراضيهم، وقبيلة كنانة هي احدى القبائل العربية التي تبنت علاقات فرضتها عليها ظروف معينةٌ منها علاقات فردية وأخرى على مستوى القبيلة .

**Abstrac**

The foreign relations of the Arab tribes varied between positive and negative, imposed by certain circumstances in which the tribes adopted positions that serve their interests on the one hand and on the other hand, in which they defend their allies. These days have negative effects on the Arab tribes, which have led to losses for all parties. As for the positive phenomenon of tribal relations, it was represented by the formation of Political alliances, based on common interests as required by circumstances. Some were based on geographic bases, i.e. neighborhood relations and common homes. We rarely find these alliances with distant tribes in their homes, except in the Elaf of Quraish, which Hashim bin Abd Manaf made with kings, princes and leaders The

tribes to protect the Quraish trade caravans passing through their lands, and the Kinana tribe is one of the Arab tribes that adopted relations imposed on them by certain circumstances, including individual relations and others at the level of the tribe

المقدمة

كان ربيعة بن مكدم سيد وشاعر وفارس قبيلة كنانة التي يعود نسبها الى ( كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ) أي أنها من القبائل المضرية العدنانية والتي تتشرف بشرفٍ عظيم وهو إنتسابها الى سيد الخلق النبي الأكرم محمد (ﷺ) حيث يلتقيان عند الجد الثاني عشر.

وسلسلة نسب ربيعة بن مكدم من روايات أغلب المؤرخون تعود الى( حدبان بن جذيمه بن علقمه بن فراس بن غنم بن ثعلبه بن مالك بن كنانة) وضُربت العرب فيه المثلُ في الحمية والمروءه فقالت" أحمى من مُجير الظعنُ"، وكانت ولادته حسب ما ذكره المؤرخون بنحو(٨٥ق.هـ_٥٣٤م) واشتهر وهو في سن صغير من ريع شبابه بصفات عده منها الكرم والشجاعة والفروسية والأجارة، ونظراً لتميزه من هذه الصفات الحميدة دون ابناء قومه نصبوه سيداً ورئيساً لقبيلتهم.

اولاً :العلاقة مع القبائل القحطانية :

١.العلاقة مع قبيلة زبيد المذحجية:

زَبْيد : بفتح الزاي وسكون الباء[١]، قبيلة عربية من قبائل مَذحج القحطانية ،يعود نسبها الى (زبيد بن صعب بن سعد العشيرة بن مالك هو مذحج ) [٢]، ومذحج هي القبيلة الام لزبيد وهي احدى قبائل اليمن الكبرى ، ويرجع نسبها الى (مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ[٣] بن يشجب بن يعرب بن قحطان) [١]، واما زبيد فهو اسماً لمنبه الاكبر و

(١) ابن بطوطة ،ابو عبد الله محمد بن عبدالله بن محمد،(ت٧٧٩ه)،رحلة ابن بطوطة،تح:عبد الهادي تازى،(اكاديمية المملكة العربية السعودية، الرياض ،١٤١٧ه)ج٢،ص١٠٣؛ القلقشندي، نهاية الارب في معرفة انساب العرب،ص٢٦.

(٢) الهمداني، الأكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير، ج١، ص١٧٦؛ أبن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، ج٣، ص١٨٦.

(٣) أبن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، ج٣، ص١٨٦؛ ابن رسول، طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، ص١٢٥؛ العمري، أحمد بن يحيى، (ت٧٤٩هـ)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح وتصحيح : مصطفى مسلم، إبراهيم صالح، بسام محمد بارود، يحيى وهيب جبوري، عماد عبد السلام رؤوف، أحمد عبد القادر شاذلي، (دار المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٤هـ)، ج٤، ص٢٦٠؛ الخزرجي، علي بن حسن، (ت٨١٢هـ)، العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر أهل اليمن، (مكتبة الجيل الجديد ، اليمن – صنعاء، ١٤٣٠هـ)، ج٣، ص١٨٥؛ اليماني، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، ، ج١، ص٥٣.

يعرف ايضاً بزبيد الاكبر، ومن قبيلة زبيد بطن يعرف بزبيد الاصغر ينسبون الى (ربيعة بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن منبه الأكبر بن صعب بن سعد العشيرة، من بني زيد بن كهلان، القحطانية) [٢] ، سكنت زبيد في مواضع متفرقة من ارض اليمن[٣]، من جبال وقرى وأودية وحصون منها جبال أمول سكنها بني زبيد في اليمن ، وجبل هيوه [٤]،،وقرية سازة[٥]، وحصن ريمه من حصون صنعاء[٦].

وسكن بني زبيد ايضاً في مناطق متفرقة من شبه الجزيرة العربية من جبال وأودية وحصون في اليمن والحجاز وتهامة ونجد، وتمخضت علاقة ربيعة بن مكدم بقبيلة زبيد عن طريق سيدهم وأحد فرسانهم المعروفين إلا وهو عمرو بن معد يكرب، الذي يكنى بأبي ثور، وهوشاعرٌ مخضرم وأحد فرسان اليمن المشهوريين وسيد قبيلة زبيد، وله ديوانُ شعري باسمه وهو أحد الشعراء الذين كانُ لهم شأنٌ كبير ومنزلة رفيعة بين قومهُ وسائر قبائل العرب، عرف بالشجاعة والفروسية [٧].حيث وردت عن الاصفهاني[٨]، رواية طويلة بينت لنا طبيعة علاقة ربيعة بن مكدم مع سيد قبيلة زبيد عمرو بن معد يكرب الزبيدي مفادها ان الخليفة عمر بن الخطاب (رض)(١٣_٢٣ه)

[١] الأنصاري، ديوان حسان بن ثابت، ج٢، ص١٥٢؛ ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ج١، ص٢١٥؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٢٧؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٨٤؛ القرشي، الأخبار الموفقيات، ص٣٢٤؛ الأزدي، الفضل بن شاذان، (ت٢٦٠هـ)، الإيضاح، تح وتصحيح: جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث،(مؤسسة انتشارات تهران، بلا.م، ١٣٦٣هـ)، ص٥٦؛ البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، (ت٢٧٩هـ)، فتوح البلدان،= =تح وفهرسة: د. صلاح الدين المنجد، (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٦م)، ج١، ص٥٦؛ الطبري، محمد بن جرير، (ت٣١٠هـ)، المنتخب من ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، بلا.ت)، ص٦٨.

[٢] الهمداني، الأكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير، ج١، ص١٧٦؛ الصايغ، رضا بن علي الموسوي البحراني وعبد الله البوشهري، الشجرة الطيبة في الأرض الخصبة، تح : مهدي رجائي، (كتابخانة عمومي، بلا.م، ١٣٨١هـ)، ص٩٠.

[١] ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤، ص٩٣؛ الأصبهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، ج٣، ص١٢٧؛ ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، ج٣، ص١٨٦؛ بامطرف، الجامع ،ج٤، ص١٧٧؛ كحالة، معجم قبائل العرب، ج٣، ص١٩١.

(٢) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص١٩٨؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٢٥٥.

[٤] هيوه : هو جبل، في بلاد رداع، في اليمن سكنه بنو زبيد وذكر أيضاً بأنه حصن، اليماني، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، ج٤، ص١٣٢؛ العاملي، علي الكوراني، سلسلة القبائل العربية في العراق : قبيلة زبيد، ( دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ١٤٣٣هـ)، ص١٧.

[٥] سازة : قرية في اليمن، من نواحي بني زبيد، ابن عبدالحق ، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج٢، ص١٨٤؛ العاملي، سلسلة القبائل العربية في العراق : قبيلة زبيد، ص١٦.

[٦] ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣٢٢؛ ابن عبدالحق ، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج٣، ص٤٦٣؛ اليماني، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، ج٤، ص١٣٢؛ كحالة، معجم قبائل العرب، ج٢، ص٥٧؛ العاملي، سلسلة القبائل العربية في العراق : قبيلة زبيد، ص١٦ – ١٧.

[٧]ابن الكلبي ،جمهرة النسب،ص٤٤؛ابن سلام ،كتاب النسب ،ص٣٤٠ ؛الطبري، تاريخ الطبري،ج٣،ص١٣٢ ؛ الزركلي، الأعلام، ج٥، ص٨٦.

[٨] الأصفهاني، الأغاني، ج١٦، ص٤٩ – ٥٠.

[١]، سألَ عمرو بن معد يكرب " من اشجع من رأيت فقال : والله يا أمير المؤمنين لأخبرنك عن احيل الناس وعن اشجع الناس وعن أجبن الناس ... " ، فأخذ عمرو بن معد يكرب يُخبر الخليفة عمر بن الخطاب (رض )بخبر عن ربيعة بن مكدم ويصفهُ بأنه من أشجع الناس وأنه رأهُ يوماً من الايام في صحراء ولما أقترب ،طلبَ منه المبارزه قائلاً له : ( أتقتلني أم أقتلك ؟ )، فردَ عليه عمرو قائلاً: بل أقتلك ،فركض ربيعة ثم ركض عمرو في اثره ، فطارده عمرو ثلاث مرات وفشل بقتلهِ فيها ،فهرب عمرو مرعوباً منه ، فأمسك بهِ ربيعة بن مكدم وأستنزله من فرسهِ فنزلِ وجزَ ناصيتهِ [٢] ،ثم قالَ له أنطلق فهذا اشدُ عليك من القتل ويكمل عمرو بن معد يكرب الرواية لعمر بن الخطاب (رض) قائلاً [٣]،:" فكان ذلكَ عليَّ والله يا أمير المؤمنين أشدُ من الموت، فذلك والله أشجع ما رأيت ، فسألت عن الفتى، فقيل لي : أنه ربيعة بن مكدم الفراسي، من بني كنانة " .

وفي رواية أخرى تذكر أن عمر بن الخطاب (رض) سأل عمرو بن معد يكرب، فقال لهُ[٤]، :هل ضعفت في حياتك من فارس قط ممن لقيت؟ فأجابه عمرو خبرا عن ربيعة بن مكدم في رواية طويلة ( سنذكر ما يخص ربيعة بن مكدم منها)[٥]، فذكر لهُ قصتهِ مع ربيعة فقال عمرو بن معد يكرب للخليفة عمر بن الخطاب (رض):اني طلبت في يوماً من قومي الأغارة على بني كنانة ، فأتينا بني كنانة فتركت خيلي حجرة [٦] ثم جلست في موضع قريب منهم أسمع كلامهم، فإذا بأمرأة من قبيلة كنانة تخرج من خيمتها ،فقالت لبنت من بناتها: ادعى لي (ربيعة بن مكدم ) فدعته لها، فقالت له :أن نفسي تحدثني أن خيلاً ستغيرُ علينا اليوم ،فقالت له اني زوجتك نفسي؟ فوافقها الرأي ، فقالت لهُ : قد زوجتك نفسي،يبدوا ان هذه المرأة قد طلبت من ربيعة بن مكدم الحماية ،ويكمل عمروبن معد يكرب الرواية لعمر بن الخطاب (رض) قائلاً: وعندما ظهرَ الفجر خرجتُ من مكمني وقلت لقومي : أغيروا فأغاروا ،ولما رأني ( ربيعة بن مكدم) ركبَ فرسهِ وأخذَ رمحه ، حتى أقتربَ من الوادي، وأنشدَ لتلك المرأة قائلاً [٧] :

قَدْ عَلِمَتْ إِذْ مَنَحَتْنِي فَاهَّا

[١]ابن الاثير، الكامل في التاريخ ،ج١ ،ص٢٧ .

[٢] ناصيتهِ : مفردها ناصية وجمعها نواصي، مُقدمة شعر الرأس، وقيل أيضاً أنه الشعر الذي يسترسل على الجبهة، الفراهيدي، العين،ج٧،ص١٥٩ ؛ ابن دريد ،جمهرة اللغة ،ج١٢،ص١٧١؛ الدينوري ،ادب الكتاب، ص١٢٣.

[٣] الأصفهاني، الأغاني، ج١٦، ص٤٩ – ٥٠.

[٤] الأصفهاني، الأغاني، ج١٦، ص٥١.

[٥] للمزيد من التفاصيل ينظر: الأصفهاني، الأغاني، ج١٦، ص٥١-٥٣.

[٦] حجرة : جانباً أو ناحية، الكوفي، كتاب الجيم، ج٢، ص٢٩٩ ؛ الزبيدي ،تاج العروس،ج٢،ص٤٤٥.

[٧] الأصفهاني، الأغاني، ج١٦، ص٥٢؛ البكري، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، ج٢، ص٢٨٩.

أنِّي سَأحُوِيْ اليُوْمَ مَنْ حَوَاهَا

بَلْ لِيتَ شِعرِي اليُوْمَ مَنْ دَهَاهَا

ودهاها هنا جاءت بمعنى من أصابها بداهية فأنقصها وأعابها[١] ،أي انهُ تمنى (ربيعة بن مكدم ) من تلك المرأة أن لا تخف ولا ترتعب من غزو بني زبيدَ عليهم.

فأجاب عمرو بن معد يكرب (ربيعة بن مكدم) قائلاً[٢] :

عَمرُو عَلَى طُوْلِ الوَجَى دَهَاهَا

بالخِيلِ يَحْمِيْهَا عَلَى وَجَاهَا

حَتَى إذَا حَلَّ بِهَا احتَوَاهَا

ان في هذه الابيات الشعرية اشار عمرو بن معد يكرب هنا على انه على مقدرةٌ في حمايتهِ لها واحتوائِها أن حظيَّ فيها كسبيةٌ من الغزو ، والوجى هنا يُراد بها : الحفا، هو أن يرق القدم من طول السفر واحتواها (حافظ عليها) [٣].

فحمل عليه ( ربيعة بن مكدم )وهو يقول[٤] :

أهُونُ بِنَضِرِ العِيْشِ فِيْ دَارِ نَدَمْ		أَفِيْضُ دَمْعاً كُلَّمَا فَاضَ أنْسَجَمْ

أنَا ابنُ عَبدِ اللهِ مَحْمُوْدُ الشِيَمْ		مُؤتَمَنُ الغِيْبِ وَفِيّ الذِمَمْ

أكرَمُ مَنْ يَمْشِيْ بِسَاقٍ وَقَدَمْ		كَاللِيْثِ إنْ هَمَ بِتِقْصَامِ قِصَمْ

وصفَ( ربيعة بن مكدم )نفسه في هذه الابيات الشعرية في الوفاء والامانة والكرم والشجاعة حتى انه وصفَ نفسه كالليث ان ارادَ (قصم) [٥]،أي كسر أي شيء كسره.

فحمل عمروبن معد يكرب على (ربيعة بن مكدم )وهو يقول[٦] :

أنا ابنُ ذي التقليدِ في الشَهرِ الأصَمْ		أنا ابنُ ذي الإكليل قَتَّالَ البُهَمْ

مَن يَلقَني يُودِ كَمَا أَودَت إرَمْ		أَترُكهُ لحماً على ظَهرِ وَضَمْ

في هذه الابيات الشعرية افتخر عمرو بن معد يكرب بنفسه وانه في بيئة يحكمها الملوك [١]،والشهر الأصم : يقصد به هنا: رجب لأنه لا يُسمع بهِ صوتِ قتالٌ [٢]، ومن يلقه يهلك كما كما هلكت أرم [٣] .

(١) الجوهري ،الصحاح،ج٦،ص١٠٩ ؛ الأصفهاني، محمد حسين، الأنوار القدسية، تصحيح وتعليق : علي النهاوندي، (مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ١٤١٥هـ)، ص١٠١.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ج١٦، ص٥٢.

(٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ج٢، ص١١٥؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص٣٢؛ الرشيد، عبد الله بن معتز بن معتصم ، (ت٢٩٦هـ)، طبقات شعراءُ المحدثين، تح وتصحيح : عمر فاروق الطباع، (دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٩٩٨م)، ص٢٤٩.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ج١٦، ص٥٢.

(٥) الفراهيدي، العين، ج٥، ص٧٠؛ ج٧، ص٣٣٢؛ الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج٢، ص٢٦٨.

(٦) ابن بكار، الأخبار الموفقيات، ص٥٣؛ الأصفهاني، الأغاني، ج١٦، ص٤٩٠.

فحملَ ( ربيعة بن مكدم)على عمرو بن معد يكرب وهو يقول[٤]:

هَذَا حِمًى قَدْ غَابَ عَنْهُ ذَائِدُهُ الْمَوْتُ وِرْدٍ والأنَامِ وارِدُهُ

ويكمل عمرو قائلاً[٥] : وحمل علي ( ربيعة بن مكدم ) فضربني، فوقع سيفه في قربوس[٦] السرج، فقطعه وما تحته، ثم ثنى بضربه أخرى ، فوقع سيفه على مؤخر السرج فقطعه حتى أصبحتُ راجلاً ، فقلتُ له من أنت ؟ فقالَ : من انت ؟ قلت :انا عمرو بن معد يكرب، قال : وأنا( ربيعة بن مكدم )،ثم قلت لهُ: إني أصبحت راجلاً، فأختر مني إحدى خصال ثلاثة، الاولى : إن شئت تبارزنا بسيفينا حتى يموت الأضعف، والثانية :إن شئت أصطرعنا، فأي منا صرعَ صاحبه حكم فيه، والثالثة :إن شئت سالمتك وسالمتني، فقال (ربيعة بن مكدم): الصلح إذن، إن كان لقومكَ فيك حاجة، وإن كان بي أيضاً على قومي حاجة و هوان ،فقلت : فذلك أذن ثم أخذت بيده، حتى أتيت أصحابي[٧]، وكانوا قد حازوا على غنائم من القوم( قبيلة كنانة) ،فقلت لهم : هل تعلمون أني قد ضعفت من فارس قط مِمِنْ لقيت ؟ فقالوا له : نعيذك يا عمرو من ذلك والله، فقالَ لهم : فأنظروا الى هذه النعم التي أخذتموها، أتركوها ثم خذوها مني في بني زبيد غداً، فإن هذا الفتى نعم الفتى، والله لا يصلَ أحدكم الى شيء منه وقومهِ( بني كنانة) وأنا حي، فقالوا قومي لي : أشقيتنا حتى إذا هجمنا على القوم واستحوذنا على الغنائم منهم نهيتنا عنها، واكمل عمرو بن معد يكرب الرواية قائلاً : " قلت إنه لابد لكم من ذلك، وأن تهبوها لي ولربيعة بن مكدم. فقالوا : وإنه لهو ؟ قلت : نعم. فردوها وسالمته، فأمن حربي وأمنت حربه حتى هلك " [٨].

ومما سبق يمكننا القول ان( ربيعة بن مكدم) قد تمكن من اتخاذ اسلوب مناسب بما يخدم مصلحة قبيلتهِ،فقد قرأنا ان العلاقة بينه وبين عمرو بن معد يكرب كانت سجالاً والقتال بينهما

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، ج٢، ص١١٥؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص٣٢؛ الرشيد، عبد الله بن معتز بن معتصم ، (ت٢٩٦هـ)، طبقات شعراءُ المحدثين، تح وتصحيح : عمر فاروق الطباع، (دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٩٩٨م)، ص٢٤٩.

(٢) الدينوري، الأخبار الطوال، ص٣٥٦ ؛ ابن دريد، الاشتقاق، ج٢، ص٨٨.

(٣) أرم : وهي مدينة بناها (شداد بن عاد )وهو جبار من الجبابرة بناها عندما سمعَ بقصور الجنة التي وعدَالله (سبحانه وتعالى) بها المؤمنين على لسان نبيه هود (عليه السلام ) ،اهلكهم الله (سبحانه وتعالى ) بريح شديدة البرودة، لسبعة ايام وثمان ليالٍ بعد كفرهم وعدم استجابتهم لدعوة نبيهم هود (عليه السلام )، القزويني ،أثار البلاد وأخبار العباد ،ص١٥_١٧ .

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ج١٦، ص٥٣.

(٥) الاصفهاني، الاغاني، ج١٦، ص٥٣.

(٦) قَرَبوس : بفتح القاف والراء ، بمعنى حنوه ( جمع أحناه، أي القسم الأمامي المرتفع للسرج)، وقيل أيضاً أن للسرج حنوان أي مقدمة ومؤخرة، ابن منظور ،لسان العرب ،ج١١،ص٢٠٢؛الزبيدي ، تاج العروس،ج١٧،ص١٥٦.

(٧) الأصفهاني، الأغاني، ج١٦، ص٥٣.

(٨) الأصفهاني، الأغاني، ج١٦، ص٥٣.

كان وشيكاً الا ان (ربيعة بن مكدم) قد حكم المنطق واثر العلاقة الودية مع سيد قبيلة زبيد عمرو بن معد يكرب على القتال واراقة الدماء مما نتج عنها علاقة ايجابية انعكس اثرها على القبيلتان استمرت حتى بعد وفاة ربيعة بن مكدم .

٢ –العلاقة مع قبيلة غامد الأزدية :

غَامِد : بفتح الغين المعجمة وبعد الألف ميمٌ مكسورة ودال مهملة[١] ، قبيلة عربية ذات منزلة رفيعة بين قبائل العرب، عظيمة الشأن، عريقة النسب، سكنت شبه الجزيرة العربية ، ويرجع النسابون والمؤرخين[٢] نسبها الى الأزد[٣]، وهو ( أزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ، بن يشجب بن يعرب بن قحطان).

وتنقسم الأزد الى العديد من الأقسام، منهم ( أزد عمان، أزد غسان ، وأزد السراة، وأزد شنوءه )[٤] ومن أزد شنوءة قبيلة غامد التي يرجع نسبها الى (عمرو بن عبد الله بن كعب بن الحارث بن بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد )[٥]، وغامد هو من أهل الحجاز وسكن الطائف ويرجع تسمية قبيلة غامد بهذا الاسم تبعاً لما تذكره الروايات[٦]،لـ ( عمرو بن عبد الله بن بن كعب ) الذي تلقب بهذا اللقب لأنه كان بين قومه خلافٌ وشر فأصلحَ بينهم وتغمد ما كان بينهم مِنْ شر فتلقب بـ( غامد ) واشتهر بهذا اللقب.

تمثلت علاقة قبيلة كنانة في عهد (ربيعة بن مكدم) مع قبيلة غامد الازدية بأنها علاقةٌ ذات طابع سلبي ، حيث يذكر المؤرخين[٧]، رواية انتصار (ربيعة بن مكدم) على جمع من فوارس

(١) ابن دريد، الاشتقاق،ج٢ ،ص٢٣٠.

(٢)الأزدي، الإيضاح، ص٥٦؛ ابن ماكولا، إكمال الكمال، ج١، ص١٤٦؛ السمعاني، الأنساب، ج١، ص١٢؛ ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، ج١، ص٤٦؛ الشيباني، ابن الديبع عبد الرحمن بن محمد، (ت٩٤٤هـ)، نشر المحاسن اليمانية في خصائص اليمن ونسب القحطانية، تح وتصحيح : أحمد راتب حموش، (دار الفكر المعاصر، دمشق، ١٤١٣هـ)، ص١٤٤؛ مؤلف مجهول، (ت القرن الحادي عشر الهجري )، تاريخ أهل عمان، ط٢، تح وشرح : د. سعيد عبد الفتاح عاشور، (وزارة التراث والثقافة، عمان، ١٤٢٦هـ)، ص١٧.

(٣) ألأزْد : بفتح الألف وسكون الزاي، وكسر الدال المهملة، وقيل أسد وبالسين أفصح، هو أبو حي من اليمن ومن ولدة الأنصار كلهم، واسم الأزد هو درأ دال مكسورة فراء مهملة ثم ألف= =معدودة وقيل دره ودراء وإليه ينسب جمع الأنصار ،وكان دِرأ أمرؤٌ كثير المعروف والجود والكرم حتى سميَّ به فكثر أسم الأزْد ، الأزدي، الإيضاح، ص٥٦؛ ابن سيده، المحكم والمحيط الاعظم، ج١٦، ص٣٠؛ الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ج٤، ص٢٧٣؛ الدمشقي، توضيح المشتبه، ج١، ص٧٤؛ البغدادي، خزانة الأدب ولب ألباب لسان العرب، ج١٣، ص٢٠١.

(٤) الصحاري، الأنساب، ج٢، ص٢٤٦؛ السمعاني، الأنساب، ج١٢، ص٤٢؛ ابن رسول، طرفة الأصحاب في في معرفة الأنساب، ص٤٦؛ الزركلي، الأعلام، ج١، ص٢٩٠.

(٥) السمعاني، الأنساب، ج١٠، ص٢٥؛ ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٣٩٧.

(٦)ابن دريد، الاشتقاق، ج٢ ،ص ٢٣٠؛ السمعاني، الأنساب، ج١٠، ص٢٥.

(٧) الجاحظ، البيان والتبين، ج١، ص٢١٠؛ المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج١، ص٢٦.

غامد بمفرده، ومما يؤكد صحة هذه الرواية ذكر قصيدة لامرأة من غامد في انتصار ( ربيعة بن مكدم ) على قومها غامد فقالت[١]:

أَلاَ هَلْ أَتَاكَ عَلَى نَأْيِهَا          بِمَا فَضَحَتْ قَوْمَهَا غَامِدُ

تَمَنَّيْتُمُ مِائَتَيْ فَارِسٍ          فَرَدَّكُمُ فَارِسٌ وَاحِدُ

فَلَيْتَ لَنَا بِارْتِبَاطِ الْخُيُولِ          ضَأْنًا لَهَا حَالِبٌ قَاعِدُ

وآلا هل أتاها يُراد بها الاستفهام والتوبيخ[٢]، ونأيها هنا جاءت بمعنى ( النأي هو في اللغة البعد)، وقيل أيضاً هو الأعراض عن الشيء وأن يوليه ظهره[٣] ،وأما ارتباط الخيول فجاءت هنا بمعنى : ربطها وإعدادها استعداد للحرب[٤]،ورباط الخيل ( الأناث من الخيول ) [٥]،وقيل الرباط الرباط : الجهاد وكانت العرب تقول : ارتبطت فرساً أي أتخذتهُ للجهاد[٦] ، وأما ظأناً : مصدره ظأن وهو الغنم و الضائنة :هي النعجة ( الأنثى من الظأن )، والحالب القاعد يُراد به هنا ( الضرعُ الملأن من الحليب ) حيث كانت العرب تقول : " ترى حالب المعزى إذا صر قاعداً " بمعنى ملأنٌ وحاشد[٧] ، حيث يفيد البيت الشعري الذي نصه " تمنيتم مائتي فارس فردكم فارسٌ فارسٌ واحد " أنهم تمنوا وترجوا عند ربطهم لرحالهم وخيولهم استعداداً للغزو أن يُقابلوا مائتي فارس، فوجدوا فارسٌ واحد ( ربيعة بن مكدم ) وهو الذي قام برد غزو قومهم ( غامد ) عن بني كنانة.

ويراد في البيت الشعري ( للتمني ليأسها وصدمتها من قومها )، ( فليت لنا بأرتباط الخيول ظأناً لها حالب قاعد ) أي أنها تتمنى لرباط خيول قومها ظأناً : نعاج [٨]، تفيدهم بإيرادهم الحليب في حياتهم اليومية بدلاً من ربطها والغزو بها، وذلك بعدما فشل قومها بغزوهم بنو كنانة حيثُ أنهم جمع من الفرسان ردهم فارس واحد إلا وهو ( ربيعة بن مكدم ).

ومما سبق يمكننا القول أن لقبيلة كنانة علاقة غير سلمية مع قبيلة غامد الازدية في عهد( ربيعة بن مكدم)، فقد رد غزوةٌ لقبيلة غامد عن قومه بني فراس بن غنم من كنانة وحمى فيها رجال قبيلته من القتل والاسر ونساؤها من السبي وأموالهم من السلب والنهب وقد وثقت شاعرة من غامد هذا اليوم وأعابت على قومها غامد رد جموع فرسانها من قبل فارس واحد الا وهو( ربيعة

(١) الجاحظ، البيان والتبين، ج١، ص٢١٠.
(٢) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج١، ص٢٦.
(٣) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج١، ص٢٦؛ الآلوسي، أبو ثناء محمود شهاب الدين ، تفسير الآلوسي، (دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، بلا.ت)، ج١٥، ص١٤٦.
(٤) الزبيدي ،تاج العروس،ج١٠ ،ص٢٦١.
(٥) ابن منظور ، لسان العرب،ج٧ ، ص٣٠٣؛ الزبيدي ،تاج العروس،ج١٠ ،ص٢٦١.
(٦) الفراهيدي، العين، ج٧، ص٤٢٣؛ أبو حيان، تفسير البحر المحيط ، ج٥، ص٥٠٥.
(٧) الفراهيدي ، العين ،ج٣ ،ص٩١ ؛ الجاحظ، البيان والتبين، ج٢، ص١٣٧.
(٨)أبو حيان، تفسير البحر المحيط ،ج ٤، ص ٤٠٣؛ الصعيدي وآخر، الإفصاح في فقه اللغة، ج٢، ص١١٣.

ابن مكدم ) فأدى في تلك الغارة دوراً بطولياً غاية في الاهمية وهو فارساً شجاعاً ذادَ عن غزو قومه جموع من فرسان غامد بأبيات شعرية جميلة ، وهذا أن دل على شيء فيدل على قدرته الهائلة في ادارة أمور قبيلتة بالشكل الذي يخدم مصالحها ويدفع الاذى عنها.

ثانياً: العلاقة مع القبائل العدنانية :

١-العلاقة مع قبيلة هوازن :

هوازن: قبيلة من القبائل العربية التي اشتهرت وعُرفت بعزها ومجدها القديم، ومكانتها الأجتماعية الرفيعة بين قبائل مضر العدنانية(١)، وتذكر الروايات بأنها إحدى جماجم العرب(٢)، وذلك ما يدل يدل على أنهم من وجهاء ورؤساء العرب في العصر الجاهلي (أي أنهم بمنزلة الرأس من الجسد لهم) وكانوا ذو قوةٌ وبأسٌ شديد(٣).

ويعود نسب القبيلة الى ( هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان)(٤)، حيث أنهم يعدون من القبائل القيسية العدنانية، وتنقسم قبيلة هوازن الى ثلاثة بطون رئيسية هم ( منبه(٥)، سعد(٦)، معاوية(٧). وينسبون الى بني بكر بن هوازن بن بن منصور.

(١) ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص٤٨٨؛ الهمداني، الأكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير، ص٧٢؛ كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ج٣، ص١٢٣١.

(٢) جماجم العرب : هو لقبُ تلقبت به بعض قبائل العرب لقوتهم وشدة بأسهم وكلُ واحدةٌ منها تجمع البطون وينتسب إليها دونهم، فأصبحت كأنها جسدٌ قائم بذاته وكل عضو منها مكتفٌ باسمهِ مشهوراً بصفاتهِ والجماجم ثمانية : اثنتان في اليمن ، واثنتان في ربيعة وأربع في مضر، والأربع التي في مضرهما : هوازن وغطفان من قيس، وكنانة وتميم من خندف، وأما اللتان في ربيعة هما بكر بن وائل وعبد قيس بن أقصى، وأما اللتان في اليمن فهما : (مذحج وهو مالك بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ ) و( قضاعة بن مالك بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ )، ابن سلام ، كتاب النسب، ص١٢٥؛ البلاذري، انساب الأشراف، ج٣،ص٤٩؛ الزبيدي، تاج العروس ،ج١٦ ،ص١٢٠.

(٣) ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص٤٨٨؛ الزبيدي، تاج العروس ،ج١٦ ،ص١٢٠؛ كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة،ج٣، ص١٢٣١.

(٤) الهلالي، كتاب سليم بن قيس الهلالي، ج١، ص٢٥٨؛ ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص٧١٨؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص١٢٧؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٧٧.

(٥) منبه بن بكر : بطن من هوازن اشتهر من بينهم ثقيف : وهو جد جاهلي معروف وإليه ينتسب بنو ثقيف واسمه قسي بن منبه بن بكر بن هوازن ، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٢٥٤؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٣٠؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٦٠؛ الدينوري، المعارف، ص٢٤٦.

(٦) سعد بن بكر : بطن من هوازن اشتهروا بأنهم أفصح العرب وفيهم استرضع الرسول الأعظم محمد (ﷺ)، حيث حيث استرضعته حليمة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شجنه بن جابر بن رزام بن ناصرة بن فصية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن وأسم ابيه (ﷺ) في الرضاعة هو الحارث بن عبد العزى بن رفاعة بن ملان بن ناصره بن فصية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن، ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص١٢٧؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص١١٠؛ ابن ماكولا ،اكمال الكمال ،ج١،ص٣٥٦ ،الزركلي ،الاعلام ،ج٨ ،١٨٥.

(٧) معاوية : بطن من بطون هوازن واشتهر من بينهم بنو عامر بن صعصعة وهم قومٌ اشتهروا بالبأس والعدد والقوة ويشكلون القسم الأعظم من قبائل هوازن وعادةٌ ما كان اسم بنو عامر علماً في حد ذاته يُستعان بهِ بالغنى عن هوازن في مقابل القبائل القيسية الأخرى كـ ( غطفان بن سعد، سليم بن منصور )، الهلالي،

وأصل تسمية هوازن[١]،مشتق من هوزن : اسم طائر وجمعه هوازن وبه سميت هذه القبيلة من قيس وهو حيٌّ في اليمن[٢]، وقيل أيضاً أنه مشتق من هوزن : اي الغبار[٣]، وأما منازلها فكانت كما وصفها البكري[٤]،" ما بين غور تهامة[٥] الى ما والى بيشه وناحية السراة والطائف وذا المجاز وحنين وأوطاس[٦] وما صاقبها من البلاد " ، وبيشه هو وادٍ بين اليمن والحجاز، أرضه خصبةَ وخيراته كثيرة[٧] ، وذا المجاز : موضعٌ يقع على يمين عرفة، وبالقرب من كبكب ( وهو سوق متروكة )، وكان ذو المجاز هذا سوقاً من أسواق العرب يقوم عند هلال ذو الحجة ( ويستمر لمدة ٨ أيام )، بعد قيام سوق عكاظ ( عشرون يوماً ) وسوق مجنه ( عشرة أيام ) [٨]، وقيل أيضاً ذو المجاز عين ماء لهذيل، خلف عرفة[٩].

وحنين وادٍ بين مكة والطائف، وذكر أيضاً أنه وادٍ بجانب ذي المجاز، وفيه حدثت معركة حنين (٨هـ) [١٠]، التي خسر فيها المسلمون رغم إن تعدادهم كان أثني عشر ألفاً، وفيها نزلت الآية الكريمة ( وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ) [١١]، وهي آخر غزوة للرسول محمد (ﷺ) حيث بعدها لم يكن للمسلمين مع المشركين أي وطأة قتال[١٢].

كتاب سليم بن قيس الهلالي، ج١، ص٢٥٨؛ابن الكلبي ،جمهرة النسب،ص٩٥ ؛الزبيري، كتاب نسب قريش ،ص٥٠؛ الشذر،= =أزهار محسن، قبيلة هوازن ودورها في التاريخ العربي قبل الإسلام ، جامعة بغداد، مجلة كلية التربية، ٢٠١٠م، العدد ٩٣، ص٢٤٤.

(١) ابن الكلبي ، جمهرة النسب ،ص٣٢١؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ،ج١ ،ص٦٠.

(٢) ابن دريد، جمهرة اللغة، ج٢، ص١١٧٧؛ الأزهري، تهذيب اللغة، ج١، ص٩٢؛ ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص٤٣٦.

(٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٦، ص٥٢؛ الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ج١٠، ص٦٩٣؛ رضا، أحمد، معجم متن اللغة، (مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٨٠هـ)، ج٥، ص٦٣٦.

(٤) معجم ما استعجم، ج١، ص٨٩.

(٥) غور تهامة : وهو مشتق من غَارَ – يَغُورُ – غَوْرا، فهو غائرٌ ( وغور : هو ما أنخفض من الأرض ) وأما غور تهامة هو الحد ما بين نجد وتهامة الى البحر، وهو منزلٍ لحجاج العراق، وقيل أيضاً، الغُورُ : هو تهامة وما يلي اليمن، وقيل ايضاً: إن غور تهامة هو ( ما بين ذات عرق والبحر الى اليمن )، اليعقوبي ،البلدان ،ص٢٠؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٣٤؛ الزبيدي، تاج العروس، ج٧، ص٣٢٥؛الحميري ،الروض المعطار في خبر الاقطار،ص١٧٠.

(٦) البكري، معجم ما استعجم، ج٣، ص٢٥٣، ج٤، ص٨٥؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ج٥، ص٢٧٢.

(٧) الهمداني، الأكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير، ج١، ص١٨٠؛ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١– ص٥٢٩.

(٨) البكري، معجم ما استعجم، ج٣، ص٢٥٣؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،ج٤ ،ص١٤٢.

(٩) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٥٥.

(١٠) الواقدي ، المغازي ،ج٢ ،ص١١٩؛ابن هشام ، السيرة النبوية ،ج٢،ص١٩٧؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٥، ص٢٧٢.

(١١) سورة التوبة : آية (٢٥).

(١٢) البخاري، صحيح البخاري، ج٣، ص٢١٤؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ج١، ص١٩٠؛ ابو حيان، تفسير البحر المحيط ، ج٥، ص٤٤؛ الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج١، ص٤٧؛ الملوح، عبد

وقد تمثلت علاقة (ربيعة بن مكدم) مع قبيلة هوازن مع احد بطونها وهم بني معاوية بن بكر بن هوازن من(بنو جشم)، رهط (دريد بن الصمة الجشمي البكري)، سيد قبيلة هوازن وهو فارس شجاع ومن الشعراء المعمرين في الجاهلية، وقائد قبيلته وفارسهم في الحروب وله مكانة رفيعةٌ بين قومه، وغزا مع قومه نحو مائة غزوة ولم يُهزم في أي واحدةٌ منها، عاش حياته حتى طال عمره ، أدرك الإسلام [(١)]، لكنهُ لم يُسلم وقتل وهو على دين الجاهلية في عام (٨هـ/٦٣٠م) [(٢)]، في يوم حنين [(٣)]، وحين خرجت هوازن لقتال المسلمين استصحبتهُ معها وهو أعمى، تيمناً به لعلهم ينتصرون في الحرب لكن حين انهزمت وكسرت شوكتهم في حُنين أدركه ربيعة بن رفيع[(٤)] السلمي فقتله، وله أخباراً كثيرة أبرزها موقفه الودي مع ربيعة بن مكدم( سيد بني كنانة ) في يوم الظعينة (المرأة) الذي دارت رحاه بين ربيعة بن مكدم وعدد من فوارس بني جشم مع ( دريد بن الصمة) : وحينها كان دريد بن الصمة قد خرج بفوارس من بني جشم يُريد الإغارة على بني كنانة وعندما وصلوا الى موضعٌ يُدعى وادي الأخرم[(٥)]، ظهر لهم ربيعة بن مكدم وهو معه ظعينته( زوجتهُ )، فأرسلَ دريد بن الصمه إليه أحد فرسانهُ يطلب منه أن ينجو بنفسه (ربيعة) وأن يخل عن زوجته اليهم ، فصاح به الفارس، وألح عليه فلما أتى ألقى الزمام[(٦)]، وقال ربيعة بن مكدم لزوجتهِ [(٧)] :

سِيرى على رِسْلك سَيْرَ الآمنِ		سيرَ رَداحٍ ذَاتِ جأشٍ ساكِنِ
إنّ أنثنائي دون قِرْني شائني		أَبلى بلائي وأخبُري وعايِني

وفي هذه الآيات الشعرية طلب ( ربيعة بن مكدم ) من زوجته السير على رسلها بهدوء خوفاً عليها اذا حدث اصطدام بين الطرفين، سير الأمن، وان تُعاين ما حدثَ و تُخبرُ قومها بهِ ثم

الرحمن وصالح حميد، موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، (دار الوسيلة، جدة، ١٤٢٦هـ)، ج٩، ص٥٩١.

(١) ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص٣٨٣؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤، ص٤١؛ الزركلي، الأعلام، ج٢، ص٣٣٩.

(٢) ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص٣٨٣ ؛ الزركلي، الأعلام، ج٢، ص٣٣٩.

(٣) ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص٣٨٣؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٣٤٤ ؛ الزركلي، الأعلام، ج٢، ص٣٣٩.

(٤) ربيعة بن رفيع : هو ربيعة بن رفيع بن أهبان بن ثعلبة بن ربيعة بن يربوع بن سمال بن عوف بن امرؤ القيس، ويقالُ له ابن الدغنه حيث غلب اسم أمه على أسمه، شارك في يوم حنين ولحق بدريد بن الصمة وكان في حينها في هودج على جمل، وهو شيخ كبير فضربه بسيفه ضربةٌ قتلته، ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص٤٠١؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ، ص٥٣؛ الأصفهاني، الأغاني، ج١٠، ص٢٦؛ السمعاني، الأنساب، ج٣، ص٢٩١.

(٥) الأخرم : لغةٌ هو الغليظ، المرتفع من الأرض، والأخرم جبلٌ في طرف الدهناءُ، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٦، ص٣٨؛ البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص١٢٥.

(٦) الزمام : حبل البعير، ابن دريد، جمهرة اللغة، ج١، ص٤٤٨.

(٧) الأصفهاني، الأغاني، ج١٦، ص٤٧ ؛ الشناوي ،عبد العزيز ، ابطال العرب في الجاهلية ،( مكتبة الايمان ، القاهرة ،٢٠٠٠م) ،ص١٠٨.

حمل (ربيعة بن مكدم) على الفارس الذي ارسله دريد بن الصمه فقتله، وسلبه منه فرسهِ، فأعطا (ربيعة بن مكدم) الفرس الى زوجته، ثم بعث ( دريد بن الصمة ) فارساً آخر، لينظر ما صنع صاحبه فوجده صريعاً، فصاحَ الفارس على( ربيعة بن مكدم )، فتصرف وكأنه لم يسمعه [١] ، فأتى الفارس الى (ربيعة بن مكدم) فألقى ربيعة الزمام( الحبل) إلى زوجته ،ثم قال [٢] :

خَلِّ سبيلَ الحُرّة المَنِيعَة                إنَكَ لاقٍ دُونِها رَبيعة

في كَفّه خَطِّيَّة مطيعة                أوْلا فخُذْها طعنةً سَريعة

والطَّعنُ منّي فِي الوغَى شَرِيعَة

فحمل (ربيعة بن مكدم) على الفارس فقتلة ، ووصفَ ربيعة نفسهُ بالقوة والثبات في الوغى (الحرب ) [٣] ، فانصرفَ القوم (هوازن)، ثم أنشدَ (دريد بن الصمة) أبياتٌ شعرية شهدَ فيها لشجاعة (ربيعة بن مكدم) وثباته في قتال الفوارس وحماية ظعينتهِ ( زوجتهِ ) في ذلك اليوم قائلاً[٤] :

ما إن رَأَيتُ وَلا سَمِعتُ بِمِثلِهِ                حامي الظَعينَةِ فارِساً لَم يُقتَلِ

أَردى فَوارِسَ لَم يَكونوا نُهزَةً                ثُمَّ اِستَمَرَّ كَأَنَّهُ لَم يَفعَلِ

مُتَهَلِّلاً تَبدوا أَسِرَّةُ وَجهِهِ                مِثلَ الحُسامِ جَلَتهُ كَفُّ الصَيقَلِ

يُزجي ظَعينَتَهُ وَيَسحَب ذَيلَهُ                مُتَوَجِّهاً يُمناهُ نَحوَ المَنزِلِ

وَتَرى الفَوارِسَ مِن مَخافَةِ رُمحِهِ                مِثلَ البُغاثِ خَشَينَ وَقعَ الأَجدَلِ

يا لَيتَ شِعري مَن أَبوهُ وَأُمُّهُ                يا صاحِ مَن يَكُ مِثلَهُ لا يُجهَلِ

وفي هذه الابيات الشعرية شهدَ دريد بن الصمة لربيعة بن مكدم بالشجاعة ، مشبهٌ ربيعة ب الصيقل (السيف) شديد الحدة [٥]،الذي يُخاف الفوارس من رمحه مشبهٌ اياهم بأنهم مثل (البغاث) (البغاث) الطيور الضعيفة امامه [٦]، وهو كالأجدل (الصقر) [٧]،الذي ينقض على الطيور الضعيفة ويقتلها دون عناء او تعب ، فلما أبطأ على دريد الفارس بعث بفارساً آخر لينظر ما صنعا ؟ فلما ذهب إليهما، وجدهما صريعين، ثم نظر إليه يقود ظعينته (زوجته ) ،فأرسل دريد

[١] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٦، ص٣٨.

[٢] الأصفهاني، الأغاني، ج١٦، ص٤٧؛ إبن منقذ، لباب الآداب، ص٢٤٢ ؛ القيسي ، نوري حمودي ،الفروسية في الشعر الجاهلي ،( مكتبة النهضة ،بغداد ،١٩٦٤ م) ،ص٦٩.

[٣] الازهري ، تهذيب اللغة ،ج٨ ،ص١٨٩ ؛ابن منظور ،لسان العرب ،ج١١ ،ص٦٨١.

[٤] الأصفهاني، الأغاني، ج١٦، ص٤٧؛ ابن منقذ، لباب الآداب، ص٢٤٣.

[٥] ابن دريد، الاشتقاق، ج٢، ص٢١٤.

[٦] الازهري ، تهذيب اللغة،ج٨ ،ص١٠٥.

[٧] الأصفهاني، الأغاني، ج١٦،ص٤٧؛ الازهري ، تهذيب اللغة، ج٨ ،ص١٠٥.

بن الصمة فارساً ثالثاً اراد اسر زوجة (ربيعة بن مكدم) وقال له: خل عن الظعينة، ثم توجه إليه فقال (ربيعة بن مكدم) له[١] :

مَاذَا تُرِيدُ مِنْ شَتِيمٍ عَابِسِ

أَلَمْ تَرَ الفَارِسَ الفَارِسِ

أَرْدَاهُمَا عَامِلُ رُمْحٍ يَابِسِ؟

ويقصد بشعره ماذا تريد مني وأنا شتيم عابس أي ( كريه الوجه ) وعبوس[٢]، وألم ترني كيف قتلتُ الفارس بعد الفارس، وأرداهما ( قتلهما وجعلهما) عاملُ رمحٌ يابس[٣].

وبعد ذكره هذه الأبيات الشعرية، طعن ربيعة بن مكدم الفارس وقتله ، فأرتابَ دريد، وظنَّ إن الفرسان قد أخذوا الظعينة (الزوجة) اسيرة وانهم قتلوا (ربيعة بن مكدم)، فعندما لحق بهم، ووجدَ فرسانهُ قد قتلوا فقال: دريد بن الصمة[٤]، الى ربيعة بن مكدم : " أيها الفارس، إن مثلك لا يقتل، يقتل، وإن الخيل ثائرة بأصحابها، ولا أرى معك رمحاً، وأراك حديث السن، فدونك هذا الرمح، فإني راجع الى أصحابي " ، وبعدها أتى دريدٌ أصحابه وقال لهم : إن فارسَ الظعينة قد حماها وقامَ بقتل فوارسكم، ثم انتزع رمحي، وأني لا أطمعكم فيه.

وأنشد ربيعة بن مكدم في ذلك اليوم قصيدة، قال فيها[٥] :

إن كان يَنفعكِ اليقينُ فسائلِي　　عنّي الظعينةَ يومَ وادي الأخْرم

إذ هِي لأوّل مَن أتاها نُهبة　　لولا طعانُ رَبيعة بنِ مُكَدَّمِ

إذ قال لي أدنى الفوارس مِيتهُ　　خَلِّ الظعينَةَ طائعاً لا تَنْدَمِ

فَصَرفْتُ رَاحِلَةِ الظَعِيْنَةِ نَحْوَهُ　　عَمْداً لِيَعْلَمَ بَعْضُ مَا لَمْ يَعْلَمِ

وَهَتَكْتُ بالرُمْحِ الطَوِيْلِ إهَابَهُ　　فهو صريعاً لليدين وللفمِ

واشارَ (ربيعة بن مكدم) في هذه الابيات الشعرية الى انه من كان لايعرفه فليسأل عن خبره في يوم الظعينة(المرأة) في وادي الأخرم[٦] ،الذي لولا قوته وشجاعتهِ لكانت زوجتهِ عرضةٌ للنهب للنهب والسبي انذاك، وانه هتك وطعن برمحه الفارس الذي قام بقتالهِ فوقع مقتولاً في ذلك اليوم.

[١] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٦، ص٣٩؛ القالي، الأمالي ، ص٥١٣؛ إبن منقذ، لباب الآداب، ص٢٤٢؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج١٥، ص٣٧٢.

[٢] الفراهيدي، العين، ج٦، ص٢٤٦؛ ابن دريد، الاشتقاق، ج١، ص٢٣٢؛ ابن دريد، جمهرة اللغة، ج١، ص٣٩٩؛ الأزهري، تهذيب اللغة، ج١١، ص٢٢٥؛ الجوهري، الصحاح، ج٥، ص٢٣٨؛ الزبيدي، تاج العروس، ج١٦، ص٣٨٤.

[٣] السيرافي، حسن بن عبد الله، (ت٣٦٨هـ)، شرح كتاب سيبويه، تح وتصحيح : أحمد حسن، وعلي سيد علي، (دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، بلا.ت)، ج٢، ص ٤١٠؛ الزبيدي ،تاج العروس ،ج ٩،ص١٥٩.

[٤] القالي، الأمالي، ج٢، ص٢٧٦؛ الأصفهاني، الأغاني، ج١٦، ص٤٨.

[٥] القالي، الأمالي، ج٢، ص٢٧٦؛ الأصفهاني، الأغاني، ج١٦، ص٤٨.

[٦] والأخرم: وادي وجبل من منازل بني كنانة ،البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص١٢٥.

ويذكر المؤرخون[١] أن بني كنانة لم يلبوثوا حتى أغاروا على بني جشم فقتلوا بعضٌ منهم وأسروا دريد بن الصمة، فقام بإخفاء نفسهِ ولم يفصح لهم عن مكانته عند قومه، وبينما هو محبوسٌ عندهم، جاءت نسوة يتهادين إليه، فصرخت إحداهن وقالت [٢] : " هلكتم وأهلكتم ! ماذا جرّ علينا قومنا ! هذا والله الذي أعطى ربيعة رمحه يوم الظعينة ! ...هذا صاحبنا يوم الوادي ... " فسأله القوم(بني كنانة) : من هو ؟ فقال : أنا دريد بن الصمة، فسألهم قائلاً : فمن صاحبي ؟ قالوا : ربيعة بن مكدم، فقال : دريد ابن الصمة : فما فعل ؟ فقالوا لهُ : قتلتهُ بنو سُليم، فأنقسم قوم بني كنانة فيما بينهم على ما يجب أن يفعلوه مع دريد بن الصمة ،أيطلقوا سراحه عرفاناً بجميل موقفه مع سيدهم(ربيعة بن مكدم) ،او يبقوهُ اسيراً لديهم، فقامت المرأة وهي ( ريطة بنت جذل الطعان ) في منتصف الليل وأنشدت قصيدةٌ قالت[٣] فيها:

سَنجزي دُريداً عَن ربيعة نعمةً		وَكلّ اِمرئٍ يُجزى بِما كانَ قدّما
فَإن كانَ خَيراً كان خيراً جزاؤهُ		وَإِن كانَ شرّاً كانَ شرّاً مذمّما
سَنَجزيهِ نُعمى لَم تَكن بصغيرةٍ		بِإعطائهِ الرمحَ الطويلَ المقوّما
فَقَد أدركت كفّاه فينا جزاءه		وَأهلٌ بأن يَجزي الّذي كانَ أَنعما
فَلا تَكفُروه حقَّ نُعماهُ فيكم		وَلا تَركَبوا تلكَ الّتي تملأُ الفما
فَلَو كانَ حيّاً لم يضق بثوابهِ		ذراعاً غنيّاً كانَ أَو كانَ معدما
فَفكّوا دريداً من إسار مخارقٍ		وَلا تَجعلوا البؤسى إِلى الشرّ سلَّما

وفي هذهِ الابيات الشعرية تحثُ(ريطة بنت جذل الطعان ) قومها على فك أسر دريد بن الصمة، إثابةٌ منهم وجزاءٌ لهُ على جميل صنيعهُ مع( ربيعة بن مكدم ) ومساعدتهُ في يوم الظعينة (المرأة) .

وعندما أصبحوا أطلقَ آل فراس سراحه وقامت (ريطة بنت جذل الطعان) بكسوته وتجهيزه[٤]، وتجهيزه[٤]، فلحق دريداً بقومه بنو جشم، ويذكر المؤرخون[٥]، بأن دريدُ ابن الصمة " فلم يزل كافاً عن غزو بني فراس حتى هلك " مما يدل على أن الموقف الذي جرى ما بين كلاً من ( ربيعة بن مكدم) سيد قبيلة كنانة، و( دريد بن الصمة ) سيد بنو جشم من هوازن قد أثمرت بتكوين علاقة ودية ما بين كُلُ من قبيلتي كنانة وهوازن حيث تُشير الرواية الى أن بنو فراس

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٦، ص٤٠؛ القالي، الأمالي ،ص٥١٤؛ الأصفهاني، الأغاني، ج١٦، ص٤٨؛ إبن منقذ، لباب الآداب، ص٢٤٥؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج١٥، ص٣٧٤؛ الأعلمي، تراجم أعلام الناس، ج٢، ص١١٣.
(٢) القالي، الأمالي، ج٢، ص٥١٤؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج١٥، ص٣٧٤.
(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٦، ص٤٠ -٤١.
(٤) القالي، الأمالي، ص٥١٤؛ إبن منقذ، لباب الآداب، ص٢٤٥.
(٥) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٦، ص٤١؛ القالي، الأمالي، ص٥١٤؛ الأصفهاني، الأغاني، ج١٦، ص٣٨؛ إبن منقذ، لباب الآداب، ص٢٤٥؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج١٥، ص٣٧٥.

رهط (ربيعة بن مكدم )قد سلموا وأمنوا من غزو وإغارة بنو جشم عليهم حتى هلك دريد بن الصمة، حين قتل يوم حنين في السنة الثامنة للهجرة(١).

مما سبق يمكننا القول ان علاقة قبيلة كنانة مع هوازن قد تبدلت من علاقة سلبية الى علاقة ودية ، مما ادى الى استقرار العلاقة بين القبيلتين، وايضاً لم نقرأ لكنانة ايام طويلة وعلاقات عدائية مع القبائل العربية الاخرى التي سكنت بجوارها في عهد (ربيعة بن مكدم الكناني) وهذا ان دل على شيء يدلُ على حنكته السياسية وقدرته الهائلة على ادارة أمور القبيلة بالحوار والتفاهم على الرغم من صغر سنه وهذا ما اشار اليه عبدالله بن جذل الطعان حين رثاه ذاكراً اياه بمواقفه الحكيمة قائلاً " وكم غارة ورعيل خيل تداركها وقد حمس اللقاء " أي انه يشير هذا البيت الشعري الى ان (ربيعة بن مكدم) كان يتمتع بحنكة سياسية إذ كانت شخصيته هادئه ومائلة الى السلام وحل النزاعات في الحوار والتفاهم وعدم زج الامور الى التعاظم وجر بطون قبيلته الى حروب وأيام تجلب لهم الخسائر في الارواح والاموال ، فقد كان ميالاً الى حل النزاعات والخصومات بالطرق السلمية حفاظاً منه على حقن دماء قبيلته ، ويبدو أن كنانة عاشت في عهده حالة من الاستقرار على المستوى السياسي مع قبيلة هوازن سوى يوم الظعينة ، حيث تذكر الروايات التاريخية أن دريداً بن صمة بعد فك اسره من قبل قبيلة كنانة لم يزل كافاً عن غزو قبيلة كنانة حتى هلك ، مما يدلُ على مدى العلاقات الودية بين الطرفين في عهد (ربيعة بن مكدم)، ويبدو أن هذه العلاقة الودية قائمة على حلف ما بين قبيلة كنانة وهوازن ، على الرغم من ان المصادر لم تذكر اشارة واضحة الى طبيعة هذا الحلف لقلة مصادرنا عن العلاقات الخارجية للقبائل العرب قبل الاسلام.

٢- العلاقةمع قبيلة سليم :

وسُلَيم: بضم السين وفتح اللام(٢)، قبيلة عربية عريقة النسب، ذات منزلة رفيعة بين قبائل العرب ،يُرجع نسبها الى " سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان " (٣)، تعُد من أكبر قبائل قيس عيلان (٤)، وكان لسليم من الولد بهُته (بضم الباء ) ومنه يرجع نسب جميع أولاده.

(١)الطبري ، تاريخ الطبري ،ج٢ ،ص٣٤٤؛ الزركلي، الأعلام، ج٢، ص٣٣٩.

(٢) الهمداني، الأكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير، ج١، ص١٧٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج١، ص٣٩٩ .

(٣) أبن الكلبي، جمهرة النسب، ص٤٠٨ ؛ أبن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٢٧؛ أبن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٥٢؛ أبن حبيب، أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية، ج٢، ص٨٠؛ الدينوري، المعارف، ص٤٣٠؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج١٣، ص٢٩٩؛ أبن عبد ربه، العقد الفريد، ج٣، ص٣٠٤، الصولي، الأوراق، ج١، ص١٢١؛ المسعودي، التنبيه والأشراف، ص٣٢٣.

(٤) الهمداني، الأكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير، ج١، ص١٧٧ ؛ القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص٢٧١ .

وذكر البكري [١]، منازل قبيلة سليم قائلاً " ...ما بين ذات عرق الى البحر غور تهامه.... وما دون الرمل الى الريف من العراق، يقال له العراق. وقرى عربية : كل قرية في أرض العرب، نحو خيبر[٢]، فدك ..." [٣]، ومن منازلهم المعروفة حرة بني سليم، وهي من أعظم حرار بني سليم[٤]، ويتبين لنا مما ذَكر أن قبيلة بنو سليم قد سكنوا في أماكن متفرقةٌ في شبه الجزيرة العربية في اليمن والحجاز وتهامة.

وبحكم الموقع الجغرافي لقبيلة كنانة وقرب منازلها من منازل قبيلة سليم قد ولدت علاقات ذات طابع سلبي سببها الأخذ بالثأر منها مما أدى الى وقوع بعض الايام بين القبيلتين منها :

أ. يوم الكديد:

وهو يوماً لقبيلة سليم على قبيلة كنانة ، وكانت سبباً بمقتل( ربيعة بن مكدم)سيد قبيلة كنانة ،ان الاحداث التي سبقت هذا اليوم ان خصومةٌ كانت بين نفرٌ من قبيلة كنانة وقبيلة سليم يبدوا ان للثأر كان سبباً فيها ،مما ادى الى اقتتال الطرفان وسقوط (ربيعة بن مكدم) في هذا اليوم قتيلاً ،فقد اورد المؤرخون نص الرواية التاريخية عن هذا اليوم مفادها [٥]، ذلك اليوم برواية تأريخية ونصها : " وقع تداريء بين نفرٌ من بني سليم ونفرٌ من بني فراس بن مالك بن كنانة فقتلت بنو فراس رجلين من بني سليم، ...خرج نبيشه بن حبيب السلمي في ركب من قومه، فلما كانوا بالكديد بصر بهم نفرٌ من بني فراس بن غنم بن مالك " وكان أبا الفارعة (اخ ربيعة بن مكدم) يومئذ مجدور ) .

(١) معجم ما استعجم، ج١، ص١٦ – ١٧.

(٢) خيبر : موضع في الحجاز بقرب المدينة من طرف الشام، بينه وبين المدينة ثمانية برد والبرد يساوي أربعة فرسخ )، فبينهما (٣٢) فرسخاً، وفيها مزارع وحصون وقلاع ونخل كثير، وبين خيبر وقرقرة ستة أميال، وتميزت خيبر باحتوائها على مزارع ونخل كثير، وحصون لليهود ( تضرب بمنعتها المثل )، الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٤٠٦؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤١٠؛ العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج١٩، ص١٧٦؛ الأصبهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، ج٤، ص٥٠٣.

(٣) فَدك : قرية شمالي خيبر من أرض الحجاز كانت لليهود ، وقيل أيضاً : أرضٍ في الحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة أيام، البلاذري، فتوح البلدان ، ج١ ،ص٧٣ ؛البكري ، معجم مااستعجم ،ج١ ،ص١٢؛ ابن أبي شبه، المصنف، ج٦، ص٥٥٦.

(٤) حرة بني سليم : وهي جبال في الحجاز من ديار بني سليم، وسميت على أسم قبيلة بني سليم الذين سكنوا فيها، على بعد عشرة فراسخ من المدينة وفيها منبع الأودية الأربعة التي تجري في المدينة ألا وهي ( وادي بطحان، وادي العقيق الكبير، العقيق الصغير، ووادي= =قنا )، اليعقوبي، البلدان، ص١٥١؛ ابن الفقيه، البلدان ،ص٩٠ ؛ الحازمي ، الاماكن ،ص٧٤؛ الربيعي ، ازهار محسن الشذر، قبيلة بني سليم ومكانتها في تاريخ العرب قبل الاسلام، رسالة ماجستير منشورة ، كلية التربية، جامعة بغداد، ٢٠٠٢م، ص١٠٧ .

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١١، ص١٣٦؛ الأصفهاني، الأغاني، ج١٦، ص٤١؛ الشمشاطي، الأنوار ومحاسن الأشعار، ص٥٨؛ السلوي، الكوكب الثاقب في أخبار الشعراء وغيرهم من ذوي المناقب، ج٢، ص٤٠٠.

وفي رواية أخرى[١] : " خرج نبيشه بن حبيب غازياً فلقيَّ ظعناً من بني كنانة بالكديد " ، وقال أخيه ابى الفارعة : هؤلاء بنو سليم يطلبون دماؤهم فذهب إليهم ربيعة بن مكدم ليعلم علمَ القوم ليأتيهم بخبرهم، فتوجه نحوهم، فحمل عليه القوم، ...فأنفرد له رجلٌ من القوم، فقتلهُ( ربيعة بن مكدم)، فرماه نبيشه[٢]، وقيل طعنه[٣]، فلحقَ بالظعن وهو يستدمي حتى أتى الى أمه أم سيار" ، فطلب منها أن تجعل على يده عصّابة لتضمد جرحة ، وهو يقول[٤] :

شُدِّي عَلَيَّ العصب أُمَّ سَيَّارِ

فقد رزِيتِ فارساً كالدينارِ

يَطعَنُ بالرُمْحِ أمَامَ الأدبارِ

وقاتل (ربيعة بن مكدم) دون قومه ثم استمر وبقى واقفاً على متن فرسه وبقيَّ معتمداً على رمحه الى إن ماتَ ولا يجرأ القوم على التقدمُ نحوه، حتى تنبه نبيشه بن حبيب من مقتله فقال[٥] : " إنه إنه لمائل العنق على رمحه وما أظنه إلا قد مات فرمى فرسهِ فقمصت وزالت فسقط عنها ميتاً "

وفي رواية أخرى[٦]، تذكر إن أهبان بن كعب الخزاعي، المعروف بأبن غادية وقيل ابن عادية هو الذي قتل ربيعة وطعنه في يوم الكديد، وكان ابن غادية، أخاً ل(نبيشة بن حبيب السلمي)لأمه، وكان قد أتى أخيه في حرةِ بني سليم، زائراً، فأغار( ربيعة بن مكدم )على بني سليم فخرج إليه ابن غادية ثم حمل على(ربيعة بن مكدم) وقتلهُ، ثم حمل أبا فرعة ( أخ ربيعة بن مكدم ) على ابن غادية ولكنه لم يلحق بهِ، ووصفت أبيات ابن غادية الشعرية في وصف مقتل ( ربيعة بن مكدم )بأنها أفضل أبيات شعريه في وصف طعنه [٧] ،

ويوم الكديد هو يوم مهم في تاريخ كلتا القبيلتين حيث ولد هذا اليوم من بعده نزاعات وخصومات جرت القبيلتين الى خوض معارك وايام سببت في خسائر في الارواح والاموال على كلتا القبيلتين ك(يوم برزة ويوم الفيفاء) في العصر الجاهلي واستمرت حتى ظهور الاسلام الذي قضى على النزعة القبلية انذاك.

بيعة بن مكدم) .

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج١٦، ص٤١؛ الشمشاطي، الأنوار والمحاسن الأشعار، ص٥٨؛ البتي، تذكرة الألباب بأصول الأنساب، ص ٧٦ ؛ السلوي، الكوكب الثاقب في أخبار الشعراء وغيرهم من ذوي المناقب، ص٤٠٠.

(٢) الكوفي، الغارات، ج٢، ص٥٦؛ البتي، تذكرة الألباب بأصول الأنساب، ص٧٦.

(٣) السلوي، الكوكب الثاقب في أخبار الشعراء وغيرهم من ذوي المناقب، ج٢، ص٤٠٠.

(٤) الأنصاري، ديوان حسان بن ثابت، ج١، ص٤٥٧؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج١١، ص١٣٥؛ الأصفهاني، الأغاني، ج١٦، ص٤١؛ الشمشاطي، الأنوار والمحاسن الأشعار، ص٥٩.

(٥) الشمشاطي، الأنوار والمحاسن الأشعار، ص٥٩.

(٦) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج٢، ص٣٧٨؛ العسكري، جمهرة الأمثال، ج١، ص٢٤٦.

(٧) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٦، ص٤٣.